المحاضرة الثانية

حضارة مصر الفرعونية

الكتابة – الأدب – الفنون

تميّزت الحضارة المصرية في عهد الفراعنة بالكثير من الرقيّ والإزدهار في مختلف المجالات من طبّ وهندسة وحساب وفلك وكتابة وأدب وفنون.

1. **الكتابة** : شعر المصريون بالحاجة إلى تدوين أفكارهم خوفا عليها من الضياع، ولمّا كان الفكر مسخّرًا للدّين فكان من الطبيعي جدًّا أن تكتسي الكتابة عندهم بالصبغة الدينية المقدّسة فسُميّت بـ "الهيروغليفية" أي : الصور المقدسة ...وهي صور استُخدمت كعلامات في الكتابة تعبّر عن رسوم لمخلوقات حيّة أو أجزاء من مخلوقات حيّة وأدوات، فالمصري القديم حينما فكّر في تسجيل أحداثه وأفكاره كانت الطبيعة من حوله هي مصدر الإلهام له.

وتعود معرفتنا بالكتابة الهيروغليفية إلى القرن التاسع عشر (1822م) حين اهتدى العالم الفرنسي "شامبوليون" إلى قراءة حجر وجده أحد جنود حملة بونابرت على مصر عام 1799م فقرأ عليه كتابة باليونانية تقابلها كتابة بالهيروغليفية، فخطر له أن يكون النصّ اليوناني ترجمة للنصّ الهيروغليفي. وبعد بحث صحّت نظريته فقرأ بعض الأحرف والعبارات، ومنه تمكّن من حلّ معظم رموز هذه الكتابة الهيروغليفية والتي كانت قد مرّت بالمراحل الآتية :

أ- **المرحلة التصويرية** : وتتمثّل في التعبير عن الفكرة بالصورة، فصورة القدم -مثلا- تعطي فكرة "المشي"، وصورة العصفور تعطي فكرة "الطيران"، وصورة السهم لفكرة "التهديد والصراع" بصفة عامّة، وهكذا ... لكنّ هذه الصور لم تكن دقيقة من حيث الأداء، فقد تعطي الصورة الواحدة أكثر من تأويل، وقد تعجز أحيانا عن التعبير، إذ كيف يُعبَّر -مثلا- عن الصدق والكذب والغرور وغيرها ...

ب- **مرحلة المقطع الصوتي** : وهي التي تمثّل فيها الصورة مقطعا صوتيا كرسم صورة الطائر بجناحيه للتعبير عن المقطع الصوتي (با) وغيرها ...

وقد كان من الممكن أن تتطوّر الكتابة الهيروغليفية إلى الدرجة التي تمثّل كلّ اللغة المنطوقة بغضّ النظر عن الصور المستخدمة فيها، ولكنّها لم تستمرّ لأنّ المصريين آنذاك لم ينتقلوا من مرحلة إلى أخرى بصورة نهائية فحدث الخلط وتعقّدت الأمور كما صرّح بذلك "شامبوليون" حين قال :"إنّها طريقة معقّدة فهي في الوقت ذاته تصويرية ورمزية ومقطعية"، ولا عجب بعدها إذا علمنا أن عدد رموزها وأشكالها وحروفها قد وصل إلى السبعمائة ممّا زاد مشقّة الكتابة والقراءة.

2. **الأدب** : لقد مرّ التأليف في الأدبيّات المصرية القديمة بأزمان مختلفة، وفي أماكن متباعدة، فمنها ما كان محفورًا على جدران الأهرام، ومنها ما كان مكتوبا على أوراق البردي محفوظًا في جدار أو مُنتظمًا فوق رفوف، ومنها ما كان للموضوعات الدّينية وآخر للموضوعات الدُّنيوية.

ففي المجال **الدّيني** وُجدت بعض قصائدَ للفرعون "أخناتون" أشهرها "نشيد لآتون" (الإله المتمثّل في قرص الشمس)، كما ثبت أنّ كثيرًا من الآداب العبرانية كانت متأثّرة في شكلها كما مضمونها بالأدب المصري، وقد كان حدث أن أخذت الكثير من التعاليم الموحّدة عن الحكيم "أمينيموبي".

أمّا في المجال **الدُّنيوي** فقد وصلتنا بعض الأقاصيص لكُتّاب مجهولين برعوا في التصوير والإحساس كقصّة "سنوحي المطرود من بلاده بعد انقلاب فاشل" وقصّة "القائد تْحوتْ"، كما تطرّقت بعض القصائد الدُّنيوية إلى مواضيع وجدانية في الزُهد وفي الغزل وغيرهما ...

3. **الفنون** : وقد تجلّت في النقاط الآتية :

أ- **الهياكل** : لا تكاد منطقة تخلو من الآثار الفرعونية، وأكثرها من المعابد والمقابر، ومن أشهر الهياكل " الكَرْنَكُ" و"الأقصُر" و"إدْفو" و"دَنْدارَه" وقد كان بعضها محفورًا في شواهد صخرية كمعبد "أبي سمبل" في بلاد النوبة ومعبد "دير البحري" وغيرهما من الشواهد العالية.

ب- **المقابر** : وقد كانت متنوّعة ومتفاوتة الأحجام كأن تكون عادية على شكل مصطبة، أو هرمًا مدرجًا، أو هرمًا ضخمًا أو منحوتة في صخور شاهقة بعيدة عن متناول اللصوص الذين يرومون ما فيها من مُقتنيات نفيسة ممّا كان يُدفن مع موتى الأغنياء

ت- **الرسم** : وقد شُغف المصريون به لأنّه يخدم لديهم أغراضًا دينية، فَرُوحُ الميت في إعتقادهم تستمر في الحياة مع الجسد المُحَنَّط وتتذكر أيّامها معًا، هذا ومن جهة أخرى

فقد اهتمّ المصريون أيضا برسم الطبيعة والحيوانات، كما افتنوا في استعمال مختلف الألوان في رسومهم ونقوشهم.

ث- **النحت** : وقد خضع النحت أيضا لبعض المعتقدات المصرية القديمة فنُحتت التماثيل لغرضين كلاهما ديني :

أوّلهما أنّ تماثيل الفراعنة والآلهة مُعَدّة لتزيين واجهات المعابد فوجب أن تكون ضخمة رصينة. **وثانيهما** أن الفكرة نابعة من مقولة أنّ الجسد يجب ألّا يتفكّك، لذلك رأى الميسورون أن يضعوا على قبورهم أشباها لهم لا تمسّها يد الفناء.